الجزء الخامس عن شوال سنة ١٣٢٩ — تشرين الثاني سنة ١٩١١

وصف اطلال سامرآء

اذا خرجت من سامرآء وصرت ورآء سورها ، وقعت في مسجد « الملوية » ، وذلك على بعد ٥٠٠ متر تقريباً : وهو هذا الجامع الذي قال عنه اليعقوبي : « وبنى المتوكل بن المعتصم المسجد الجامع في اول الحير في موضع واسع خارج المنازل لايتصل به شيء من القطائع والاسواق واتقنه ووسعه واحكم بناءه وجعل فيه فوارة ماء (اي شاذروانا) لا ينقطع ماؤها ، وجعل الطرق اليه من ثلثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح ، في كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائه

ذراع بالذراع السوداء ، لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله ، ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس ، فاتسعت على الناس المنازل والدور ، واتسع اهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع . » اه .

وقد وجدت اليوم آثار تلك الفوارة حتى لم يبق ريب في ان هذا الجامع هو الذي بناه المتوكل ، هذا فضلاً عن بقاء الملوية على حالها الاولى ، وهي اقدم مئذنة في الاسلام ، لانها على طرز الزقورة التي كان يتخذها الصابئة من الكلدانيين والحرانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب « الهيكل » . ومنه كلام صاعد الاندلسي عن الكلدان: وهم نهجوا لاهل الشق الاخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهيكل ، لاستجلاب قوى الكواكب ، واظهار طبائعها ، وطرح شعاعاتها عليها ، بانواع القرابين المقربة لها ، وضروب التدابير المخصوصة بها . » اه . وكانت هذه الابراج على سبع طبقات وكل طبقة بلون يوافق لون السيارة الذي خص بها . ويصعد الى اعلاها من الخارج لا من الداخل وكل ذلك على شكل ملوى .

والظاهر ان المتوكل بنى تلك المئذنة على الصورة المذكورة تحويلاً للانظار اليها واستمالةً للصابئة الى دين الاسلام ، لان الصابئة كانوا كثيرين في عهد الخلفاء العباسيين وقد برعوا في جميع علوم ذلك العصر ويحتمل ان يكون هناك سبب آخر لا يخطر ببالنا اليوم لان اسباب الحضارة

والتمدن قداختلفت عما كانت فى سابق العهد .

اما السور فمبنى بالاجر والجص ويبلغ امتداد الباقى منه المبنى (٢٤٠) متراً فى جهة الطول وطول الباقى منه فى جهة العرض (١٦٠) متراً فيكون مجموع ما فى الطولين والعرضين (٨٠٠) متر ويبلغ علوه (١٥) متراً وفى كل جانب من جانبيه فى الطول (١٢) برجاً [١] وفى العرض (٨) ابراج وفى كل ركن من اركانه برج اكبر مما تقدم ذكره فيكون الجميع (٤٤) وبين كل برج وبرج ان كان فى جانب الطول اوالعرض (٥٥) قدماً وثلاثة ارباع القدم او (١٤) متراً واربعة وثلاثون سنتيمتراً ومستدير قطر كل برج (٢٧) قدماً وربع القدم او (٧) امتار وسنتيمتران ومستدير قطر كل برج من ابراج الاركان (٤٦) قدماً وربع القدم او (١١) متراً وتسعة وثمانون سنتيمتراً وفيه (١٣) باباً وبين كل باب وباب قراب (٢٠) متراً وقد يكون دون ذلك . اما بابه الاصلى فمقابل للقبلة . وعلى جانبيه بابان دونه طولاً وعرضاً بشئ قليل . ويقابلهما ايضاً بابان بقدرهما . وعلو الباب الاوسط خمسة امتار ونصف فى ثلاثة امتار عرضاً . وفى اعلى حائط الباب المذكور من داخل السور اثنتان وعشرون مشكاة (٢) يبلغ طول كل مشكاة نحواً من متر فى عرض متر و (٢٥) سنتيمتراً .

« ١ » اليوم يسمى اهل العراق البرج « قولة » واللفظة تركية

(٢) المشكاة هى الروشن بالفارسية المعربة . ويقال فيها ايضاً الروزنة وبعض عوام العراق يقولون الرازونة

وفى السور ايضاً بابان بكبر البابين المذكورين فى الحائط الذى يكون عن يسارك اذا دخلت الباب الاكبر. وفى ركن الحائط المذكور من الجانب الاخر باب صغير يعلو الرجل بنصف متر ويقابله باب مثله . وفى ركن الحائط الذى يقابل حائط الباب الاصلى بابان بقدرهما . وفى ركن الحائط الذى يكون عن يمينك اذا دخلت الباب الاصلى عند ملتقى الحائطين باب صغير كالباب الذى تقدم ذكر وصفه . ويقابله ايضاً باب مثله .

وفوق كل باب منهما فى رأس الحائط روزنتان نافذتان الى الجهة الاخرى بقدر المشاكى المتقدم ذكرها فى الطول والعرض .

واما فناء المسجد فهو اليوم عبارة عن انقاض ركام لا غير . الا ان الدكتور العلامة هرتسفلد كشف تراب جانب منه فانحسر عن آثار الفوارة التى مر ذكرها وآثر رواق . والفناء كله مفروش بالطاباق اوالاجر وقدر ذلك الطاباق هو قدر الاجر المستعمل اليوم فى بغداد اى طوله وعرضه (٣٠) سنتيمتراً. وربما كان طاباق سامرآء اكبر بقليل لكنه دون آجر بغداد ثخناً .

ومما اكتشفه الدكتور المذكور دكة (أى دكان) قدام الباب الاصلى من الخارج علوها متر ونصف وطولها متران فى عرض متر ونصف. وعند الدكان من الخارج قبر طوله ثلاثة امتار وعرضه متر ونصف . ويظن انه اطول مما يشاهد لان طرفه داخل تحت الردم . وبينه وبين المصطبة زهاء مترين . وورآء ذلك القبر من الخارج على مسافة (١٠) امتار سرداب عمقه قراب (١٠) امتار غير ان فيه انقاضاً كثيرة ولا يعرف مقدار عمقه الاصلى.

اما الطابق الذي بنى منه حائط المسجد فهو بقدر طاباقنا البغدادي الحالي المذكور تكسيره آنفاً . الا ان بعضه اثخن من آجرنا وبعضه اصغر منه اي بقدر الذي يسمونه في زورائنا « الطابوق السلطاني » الذي تكسيره (١٧) سنتيمتراً . اما الثخين من هذا الاجر فيبلغ ثخنه من (١٠) الى (١١) سنتيمتراً .

وبين يدي السور من جهة المدينة فناء واسع مفروش بالاجر مساحته خمسون خطوة ، وور آء سور المسجد من الجهة الاخرى المقابلة لذلك الفناء بهو يبلغ عرضه (٥٠) متراً وعلى حد البهو مئذنة المسجد المعروفة بالملوية . وبها يسمى المسجد اليوم اي يقال « جامع الملوية » بدلاً من « الجامع المسجد المتوكلي » .

اما بناء هذه الملوية فبالجص والاجر وشكلها شكل مفتول اومبروم فتل ست فتلات (ولعل الفتلة الاولى لاترى لانها تحت الارض) . ومن يريد الصعود الى اعلاها يرتقيها دائراً فيها حتى يصل الى اعلاها . وفي ذروتها باب معقود مسنم علوه (٣) امتار وعرضه متر ثم تصعد منه في درج عدد درجاته (١٨) طول كل منها متر وعلوها (٢٠) سنتيمتراً والفرغ بين الدرجة والدرجة (٢٥) سنتيمتراً وبين تلك الدرجات درجة وهي السابعة في الصعود والثانية عشرة في النزول فرغها (٨٠) سنتيمتراً اما سقف تلك الدرجات فهو ايضاً معقود مسنم وعلوه وعرضه مثل علو وعرض الباب المذكور آنفا وفي راسها محل يسع اثنى عشر رجلاً . وعرض الطريقة التي يصعد فيها قراب متر ومسافة فتلاتها

الست (٤٠٠) خطوة او(٢٤٧) متراً ومدة الصعود اربع دقائق لاغير اما محيط الملويه من الاسفل فبين الاربعين والخمسين متراً ومن الاعلى بين(١٨) و (٢٠) متراً وارتفاعها (٥٠) متراً . والفناء الذى بين سور المسجد والملويه مفروش كله بالاجر اوالطاباق ويتخلل ذلك الفناء عمد مبنية بالاجر بعضها مربع وبعضها مدور مستطيل وهى متفرقه والمسافات بينها متفاوته .

وبجانب المسجد وعن يمينه من الوراء سور يسمونه « سور عيسى» ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن على اوعيسى بن موسى العباسى لان اليعقوبى لم يذكره فى كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التى اقطعها الخليفه اصحابه وبعضهم يسميه « سور ام عيسى » . ولم يبق البلى منه سوى بعض شرفات متداعيات وبناء هذا السور من اللبن ومسافه طوله (٣٦٠) متراً وعرضه (٢٠٠) متر وفى ساحته تلول صغار وكبار .

ووراءسور عيسى على مسافه ٢٠٠متر عن جهتك اليمنى تلول كثيرة . كشف الدكتور هرتسفلد الانف الذكر عن قسم منها المعروف اليوم عند العوام باسم « دار بهلول » فظهرت فيه ابنية هى عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض مختلفه فى طولها وعرضها . وبناؤها باللبن ومطلى خارجها بالجص وعلى الجص غشاء من البورق . ولون هذا البورق ضارب الى الزرقه . وعلو الشاهق من حيطان هذه الابنيه متران ونصف.اما ساحتها فبعضها مرتفع وبعضها منخفض . وفى جدرانها نقوش مختلفة

الاشكال بديعة الصنع . وقد أخذ الدكتور الاستاذ صور تلك الاثار ونقوشها وما فيها بالتصوير الشمسي . وقد راينا في بعض جدرانها سطرين بالقلم الفارسي محفورين حفراً طول كل منهما ٢٠ سنتيمتراً غير اننا لم نهتد الى قراءتهما كما ولا الدكتور ولا المهرة من ابناء اللغة الفارسية لقدم عهدها واندراس آثارها . وتلك الابنية المكشوفة هي عبارة عما يقرب من عشرين داراً .

وهذا الوصف يذكرنا ماجاء عن المختار في معجم ياقوت اذ يقول : هو قصر كان بسامرآء من ابنية المتوكل . ذكر ابو الحسن علي بن يحيى المنجم عن ابيه قال : اخذ الواثق بيدي يوماً وجعل يطوف الابنية بسامرآء ليختار بها بيتاً يشرب فيه ، فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه وجعل يتامله وقال هل رايت احسن من هذا البناء ؟ ـ فقلت : يمتع الله امير المؤمنين به ،وتكلمت بما حضرني ، وكانت فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيه رهبان واحسنها صورة شماس (١) البيعة ، فامر بفرش الموضع واصلاح المجلس ، وحضر الندماء والمغنون ، واخذنا في الشرب ، فلما انتشى

(١) لاوجود لكلمة شماس في كتب اللغة من قديمة وحديثة . وقد بحثنا عنها كثيراً حتى وقفنا على معناها . والكلمة نصرانية من اصل ارمي [اي كلداني اوسرياني اونبطي] من (شمارا) ومعناها الساهر ويراد بها من يتولى ترتيب التهجد [اي صلاة الليل] في البيعة . والقسيس الاعلى الذي كان يتولى خدمة البيعة . ـــ والكاهن اوالشماس الذي يراس التهجد [جمع هجود وهو المصلي ليلاً]

فى الشرب اخذ سكيناً لطيفا وكتب على حائط البيت :

مارأينا كبهجة المختار ... لا ولا مثل صورة الشهار
مجلس حف بالسرور وبالنر ... جس والاس والغنا والزمار
ليس فيه عيب سوى ان مافيـ ... ـه سيفنيه نازل الاقدار

فقلت يعيذ الله امير المؤمنين ودولته من هذا . ووجمنا . فقال : شانكم وما فاتكم من وقتكم ، وما يقدم قولى خيراً ولا يؤخر شراً . قال ابو على : فاجتزت بعد سنيات بسر من رأى ، فرايت بقايا هذا البيت وعلى حائط من حيطانه مكتوب :

هذى ديار ملوك دبروا زمنا ... امر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته ... فانظر الى فعله بالجوسق الخرب
وبركوار وبالمختار قد خلتا ... من ذلك العز والسلطان والترب

وبركوار بيت بناه المتوكل. اه . وهو الذى مر الكلام عليه وصحة اللفظة بركوارا بالف فى الاخر ومنهم من سماه خطأ بركوان بنون فى الآخر على ماذكره ياقوت فى كلامه عن سامرآه .

وورآه سور عيسى ايضاً من جهة الشمال على مسافة ربع ساعة منه يرى « الجب » وقد أنشاه (على مايقال وينقل) الخليفة المتوكل العباسى ويحيط بالجب سور مبنى بالطابق والجص وقد سقطت منه بعض الشرفات ، والباقى منه متداع مائل . ومسافة محيطه لا تقل عن مائتى متر . اما هيئة الجب فهى عبارة عن حفرة كبيرة فى بطن الارض مربعة الاركان تنزل فيها فتفضى الى عشرين سردابا ينفذ بعضها الى بعض .

وعمق كل سرداب منها اربعة امتار وطوله سبعة وعرضه ثلاثة وتحت هذه السراديب سرداب واقع بابه فى القبلة وقد سلكنا فيه مايقرب من عشرين متراً فلم نصل الى آخره غير اننا انتهينا الى انقاض كثيرة ثم رجعنا ادراجنا .اما عمقه فلا ندرى قدره لكثرة ماهنالك من الصخور المتراكمة . والحجارة المتبعثرة على اهاب الارض .

والذى يشاهد فيه اليوم ان غوره ١٥ متر وعرضه متران. وحدثنى بعض المعمرين من اهل سامرآء قال كان فى القرن الماضى فى هذا الجب سرداب ينفذ من الجب الى بركة السباع وسيأتى ذكرها. اما عمق الجب فى الارض فيبلغ قراب ٢٠ متراً ومسافة محيطه قراب ٦٠ متراً وتمشى فوق الجب وانت مغرب فى ارض كلها دكادك وصخور وانقاض متراكمة بعضها فوق بعض مسافتها ٣٥٠ متراً. ثم تقف على بركة السباع التى مر ذكرها آنفا ويسميها اهل سامرآء (ام البطوط) وهى نقرة مربعة الاركان يبلغ مسافة محيطها قراب (١١٠) امتار وعمقها قراب ١٦ متراً ويحيط بها سور قد سقطت جوانبه الثلاثة وبقى منه الجانب الرابع وقد سقطت منه ايضاً بعض شرافات والباقى مائل . وحول ذلك السور فى جهاته الاربع انقاض واحجار وصخور كثيرة لاتقل مسافة محيطها عن ثلث ساعة ولعلها انقاض القصور التى ذكرها اليعقوبى فى كتاب البلدان قال بعد كلام طويل : ثم عزم المعتصم على ان ينزل بذلك الموضع (وكان فيه دير للنصارى) فاحضر محمد بن عبد الملك الزيات وابن ابى دؤاد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بأبى الوزير

وقال لهم اشتروا: من اصحاب هذا الدير هذه الارض وادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك ثم احضر المهندسين فقال: اختاروا اصلح هذه المواضع. فاختاروا عدة مواضع للقصور وصير الى كل رجل من اصحابه بناء قصر فصير الى خاقان عرطسوج ابى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقانى والى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمرى والى ابى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى. انتهى. ويظن انها هى لان دار السلطنة المعروفة بدار العامة حولها واليوم تعرف تلك الدار بقصر الخليفة وسيأتى ذكرها ان شاء الله.

(البحث تلو) م ٠٠ كاظم الدجيلى

البعبع والوعوع والضبغطرى

اذا هبطت ديار الشام، وبالخصوص اذا نزلت لبنان، وتجولت فى ربوعه وزرت بيوت اهاليه. ثم تنصت لما تقوله الامهات لاولادهن عند اسكاتهن لهم او تخويفهن اياهم، تسمعهن يقلن: بعبع بعبع، اسكت جاء البعبع (بضم الباء واسكان العين) فاذا سمع الوليد هذا الصوت خاف وسكت. واذا سالت الام: مامعنى البعبع وماتريدين بهذا اللفظ؟ تلجلجت وما استطاعت ان تفيدك شيئاً يروى غليلك. على انى سألت كثيرين من الادباء ان يطلعونى على معنى هذا الحرف فقال قوم منهم: هذه كلمة تخويف ليس الا. وقال فريق يراد بذلك حيوان مجهول الاوصاف الا انه من الوحوش الضارية. وقالت جماعة: بل